دور العرفان فى شعر أديب كمال الدين

The role of mysticism in Adeeb Kamal Ad-Deen's poetry

نعيم عموري[1]، عفيفه موحديان عطار[2]

جامعة شهيد تشمران أهواز (ايران)، n.amouri@scu.ac.ir

جامعة شهيد تشمران أهواز (ايران)، afifehmovahadian@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/06/01 تاريخ القبول: 2020 /06/17 تاريخ النشر: 2020/07/19

الملخص: إنّ الهدف الأساس لعلم العرفان الإسلامي، الوصول إلى الله تعالى والفناء فيه، أي الوصول إلى حيث لا يرى الإنسان إلا الله تعالى وبذلك في هذا البحث نبحث عن دور العرفان في شعر أديب كمال الدين؛ ولقد بذل أديب كمال الدين عصارة روحه في حب الحروف والتكهن بمعاني صورها، ويتم ذلك بدقة وشكل مملكته الشعرية على عرش الحرف، وأودع فيه معانى جسّدت فضاء انفصام الذات، ولقد حظى البحث عن دور العرفان باهتمام واسع باعتباره عنصراً فعالاً فى النقد والتحليل للنصوص الأدبية. **الكلمات المفتاحية:** العرفان، اديب كمال الدين، الحرف، الطائر، الشمس، حب الله.

Abstract: The main motivation for the Islamic mysticism is to reach God and the courtyard in God, That is, to reach where Man sees only God so in this research we look for the role of mysticism in Adeeb Kamal Ad-Deen 's poetry, He efforts his own to Interest in the letters and Prognosis in to Meanings of the troughs. Done it accurately, the search for the role of mysticism has received widespread attention as an effective element in criticism and analysis of literary texts.

Key words: Mysticism, Adeeb Kamal Ad-Deen, The letter (alphabet), bird, sun, love to God.

المؤلف المرسل: نعيم عموري[1]، **الإيميل:** n.amouri@scu.ac.ir

المنارة للاستشارات

دور العرفان في شعر أديب كمال الدين

-مقدمة

من العلوم التي ولدت في حجر الثقافة الإسلامية وترعرعت وتطورت، ما يسمّى بالعرفان. واستقت منه أسسه وقواعده، وأخرجته في مرحلة لاحقة على نزول الوحي إلى عالم الوجود الخارجي، فأضحى منذ القرنين الثالث والرابع على أقلّ تقدير، علماً قائماً بنفسه، يمتلك كلّ المقوّمات الأساسية للعلم. وهذا يعني أنّ العرفاء حدّدوا لهذا العلم موضوعاً خاصاً به مستقلاً عن كافّة العلوم، ومسائل يجري البحث فيها، وبيّنوا المنهج المعرفي الذي يمكن من خلاله القيام بمهمّة الإثبات والنفي والقبول والرفض على مستوى المسائل. ويمكننا الكلام حول العرفان من جانبين: احدهما الجانب الاجتماعي، والآخر الجانب الثقافي. وأما العرفان في الاصطلاح «عبارة عن المعرفة الحاصلة عن طريق المشاهدة القلبية، لا بواسطة العقل ولا التجربة الحسّية... وهذا اللون من المعرفة يحصل في ظلّ العمل المخلص بأحكام الدين، وهو الثمرة الرفيعة والنهائية للدين الحقيقي.». (يزدي، 1361ش، الصفحات 20-21).

وعلى هذا الأساس قدَّم أصحاب الاختصاص تعاريف متعدّدة للعرفان، من أبرزها ما جاء على لسان القيصري «هو العلم بالله سبحانه، من حيث أسماؤه وصفاته ومظاهره وأحوال المبدأ والمعاد والعلم بحقائق العالم وبكيفيّة رجوعها إلى حقيقة واحدة، هي الذات الأحدية ومعرفة طريق السلوك والمجاهدة، لتخليص النفس عن مضايق القيود الجزئية واتّصالها إلى مبدئها واتّصافها بنعت الإطلاق والكلّية.». (الدين ح.، صفحة 19) أما أهل العرفان فحين يذكرون بعنوانهم الثقافي يذكرون بعنوان «العرفاء» وحينما يذكرون بعنوانهم الاجتماعي يذكرون بعنوان «المتصوّفة». إن العرفاء والمتصوفة، وان لم يعدّوا فرقة مذهبية في الإسلام، وهم لا يدّعون هذا، وهم موجودون في كل أو جلّ الفرق والمذاهب الإسلامية الحاضرة، مع ذلك هم فرقة اجتماعية متصلة، وهناك سلسلة من الأفكار والآداب في المعاشرات والألبسة، والأزياء وكيفية تنظيم شعر الرأس واللحية والسكنى في التكايا والخانقات وغيرها، تصبغهم بصبغة فرقة خاصة مذهبية واجتماعية، نعم كان هناك ولا سيما في الشيعة عرفاء لم تكن لهم ميزة ظاهرة عن

المنارة للاستشارات

الآخرين، وهم مع ذلك متشددون في سلوكهم العرفاني، والعرفاء الحقيقيون هم هذه الطبقة، وليس تلك الفرق التي اخترعت صنوف الآداب وأوجدت عشرات البدع وإذا كانت توجد عدة نسخ من الوجودية، فهي ملتبسة اليوم مع فلسفة اللامنتمي وكل أشكال ردود الفعل على الحرب العالمية المدمرة وعلى الاغتراب القسري الذي فرضته آليات إنتاج ثقيلة يبدو الإنسان الأعزل بالمقارنة معها مجرد صدى ضعيف لمخيلته.

سؤال البحث:

كيف استخدم أديب كمال الدين من العرفان في أشعاره؟

فرضية البحث:

الشاعر استخدم الرموز العرفانية في أشعاره، وأكثَرَ فيها مِن الإشارات والرموز التي تكشفها لنا السيميائية، فإنّ للمنهج السيميائي قراءة منتظمة هدفها الوصول إلى تلك الرموز والعلامات والوقوف عند عتباتها بقصد الكشف عن طاقاتها الكامنة.

خلفية البحث:

فى هذا النطاق قد صدرت عدة دراسات منها مقالة «تقنيات إثراء الدلالة في شعر أديب كمال الدين» للدكتورة روشنفكر والدكتور بلاوي في مجلة العلوم الإنسانية الدولية بجامعة تربيت مدرس في عام 2013. ومقالة ليث فاضل الوائلي «شعرية الحرف في شعر أديب كمال الدين » نشر فى جريدة العالم البغدادية21 تموز يوليو2014. ومقالة « الشخصية الرمزية فى شعر أديب كمال الدين: دراسة فى الحرف و الغراب» لسمير عبد الرحيم أغا، موقع حوار المتوقع 14نيسان ابريل 2014، ومقالة «الرمز والفراغ عند الشاعر أديب كمال الدين: خصائص اللغة الشعرية وعلاقاتها بالمعنى ومستوياته» لأسامة غالي نشر فى جريدة القدس العربي 4إيلول–سبتمبر2014. مقالة « موتيف الموت و الحياة فى شعر أديب كمال الدين» للدكتور نعيم عموري نشر فى مجلة اللغة العربية وآدابها شتاء 1436هـ. وكتاب

المنارة للاستشارات

«أیقونة الحرف و تأویل العبارة الصوفیة فی شعر أدیب کمال الدین» للدکتور عبد القادر فیدوح، طبع فی بیروت عام2016م. وهذه المقالات درست الجانب الدلالي في شعر أديب وخاصة مقالة الدكتورة روشنفكر والدكتور رسول بلاوي. ثمّ هناك دراسات حول شعرية الحروف والرمزية والانزياحية؛ لكن هذه الدراسات لم تشر إلى دور العرفان فی شعر کمال الدین و هذه الدراسة تعبر دراسة جدیدة.

أدیب کمال الدین فی سطور

أدیب کمال الدین؛ الشاعر العراقي المهجري المعاصر مقیم حالیا فی أستراليا. ولد عام1953 فی بابل ومازل یترجم عواطفه وأحاسیسه بلغته الشعریة، وقد عُرف بالحروفي؛ لأنّه رکز علی الحرف و استنطاق السر فیه وأوغل في ترکیزه. فنلاحظ کمال الدین یوسّع من فکرته ویتجه إلی التناص القرآني وإلی توظیف التراث الدینیة وروح التشاؤم تسیطر فی بعض الأحیان علی أشعاره وتکرار الزمن وتعبة ملالة بسیطرة العادة فی الحیاة.

والشاعر صاحب رؤیة عمیقة لا یمکن التصریح بها، « بدلیل أن قصائده طوال عمره الشعري لم تعترف بسرّها ومعناها وظلت أسیرة التأملات المتوالدة والمعاني المتفجرة معلنةً عن ثورة مستمرة في مسیرته. إنه یختصر أشیاء الحیاة بالنکوص إلی التراب الذي یمتاز بالقلّة، غیر أنه هو الموصل بین البدایة والنهایة بدائرة مغلقة، والدلیل الآخر تنقّل الشاعر من شجرة الطفولة إلی شجرة الحبّ والحیاة ثم شجرة الموت. هذا الصراع خلق حالة توتر وشدّ جعله ینزع إلی اختصار المسافات وهي مجللة بأنوار البثّ المباشر لکلّ معاني الحرکة والسکون وعلاقاتهما بالحرف والنقطة، فمطیة الشاعر اللغة المغایرة بحرفیة واضحة وحروفیة تستنهض معانیها النقاط.». (عموري، شتاء 1436ه)

-الدراسة التطبیقیة(الحرف):

-دور الحرف:

المنارة للاستشارات

إن فكرة التصوف والعرفان عند العرب وغيرهم تغذي الحروف والأسماء القيمة الإعجازية نفسها التي يمكن أن تغذيها الرموز. وهذا واضح كالشمس المشرقة في تجربة الشاعر أديب كمال الدين وفي مجموعاته المتتالية التي حملت في عنوانها اسم – حرف واحد مثل: ألف، جيم، حاء، ميم، نون... ولقد بذل أديب كمال الدين عصارة روحه في حب الحروف والتكهن بمعاني صورها، كما فعل أبو الوجودية "هيدجر"، و إلى حد أبسط كما فعل الشاعر الشاب الأمريكي "شاد دافيدسون". لقد كان يبحث في خصوص الحالة الاجتماعية عن مطلق المعنى الموازي للحرف المناسب. وأن توغل فى حروف الشاعر يقتضي أن تكون فراسة ذات بصيرة ثاقبة للمخاطب وبهذا يكون للحرف معان متجلية فى الفكرة التى وضعت لها. للحروف من الألف إلى الأخر فى أشعار الشاعر دور ورمز عرفانى، مال بنا إلى تجريده الذى محكوما بالتذرُّر؛ حيث العدمية تقف على بابه ولقد تعب الحروفي مع حروفه في البحث عن الوجود والأصل أو الذات، حيث ان عالم الإرادة حرة بعد انعدام صحة الرؤيا:

قال الحرف:

لم أعد مِن نفسى بعد.

ضعتُ فى نقطتها القاسية

و تضاريسها المليئة بصورِ الموت.

لم أعد من نفسى بعد

فلِمَ كلّ هذه القصائد الوحشيّة بانتظاري؟ (الدين أ.، ما قبل الحرف ما بعد النقطة، 2006م، صفحة 31)

الأبيات تشير إلى ضياع الذات والنفس والهوية بحيث انه لا يريد بالرجوع إلى أصله ويطلب الخلاص فى مواجهة هذا الزمن المتوهج و يتخذ سبيل ضياع الوطن، وحينا فى ضياع الهوية وبين هذا وذاك هو ضياع يؤجل فعل المواجهة وسراب لا ينال منه. وهذا نتيجة اضطراب الوجود في كينونته الإنسانية. وأن الحروف عند أهل الكلام لها قيمة روحية

المنارة للاستشارات

ووجدانية صرفة، تدل على الطاقة التي تأهل بها الإنسان، وهذا قد لا يتفق مع القيمة المعرفية والعملية وإن التفكير ضمن دائرة الروح وما تتصف به من إمكانيات ميتافيزيائية تضع الفعل في خدمتها وليس العكس قد لا تتوافق مع ما يتوصل له علماء المنطق من دور واقعي نربط به اللغة وبالأخص وظيفتها.

وان أديب كمال الدين شكل مملكته الشعرية على عرش الحرف، وأودع فيه معانى جسّدت فضاء انفصام الذات، ومادة خصبة اكتنهت عالم الشاعر بالضيم، و سبرت غور الملتقى بالحدس و التأويل فى تجربة انمازت بالصبر و تجدد قروح الذات ومن ثّم المكابدة اليومية للألم الذى ينوب الحرف فيها عن الشاعر فى استغاثاته معوضا إياه عن صراخ ليل لا ينتهى حتى صار الحرف فيه معادلا موضوعيا لوجود لا انفكاك من ألمه. (فيدوح، 2016م، صفحة 18) وإنه صاحب إشكالية متوترة فهو ينغمس في الحرف ويتصوّف في معاني الكلمات ويشظّي إرهاصاته في الجمل:

فى الطفولة

فتحتُ يدَ الحرف

كى أجدَ قلمَ حبرٍ أخضر

فوجدتُ وردةَ دفلى ذابلة.

و فتحتُ يدَ النقطة

فوجدتُ دمعةَ عيدٍ قتيل. (الدين أ.، أقول الحرف و أعني أصابعي، 2011م، صفحة 32)

الشاعر يحاول أن يتجاوز الواقع المعمول فيما وصل إليه و مواجهة بعكس ما يريده و إشارة إلى مقدرات واقع الحياة و التضاد بين الإرادة و واقع الأمر و سذاجة و عطوفة و طهارة الطفولة بحيث إرادة الصلح و السلام و مواجهة بوردة ذابلة وهى وطنه المحتل ...وليس غريبا أن يحاكي الشاعر حروفه التى تحيل إلى صيغ مجازية فيما تشير إليه من معنى ملغز فى محتواه الرمزي الداعي إلى الحيرة والقلق.

المنارة للاستشارات

أوقَفَني في موقفِ الألِف

وقال: الألِفُ حبيبي.

إن تقدّمتَ حرفاً،

وأنتَ حرفٌ،

تقدّمتُ منكَ أبجديةً

وقدتُكَ إلى أبجديةٍ من نور.

وقال: سَيُسمّونكَ الحُروفيّ (الدين أ.، الأعمال الشعرية الكاملة، 2018م، صفحة 14)

شبه حبيبه بالألف المقدم الحروف الأبجدية واختار بإشارة إلى أهمية حب الله، وإذا كان للإنسان زلفى بين صفات ذات الخلق؛ فلأن كمال الحق شرّفه، وكرّمه؛ ليعرف الحق الثابت بلا شك على الوجه الأكمل. وصار الألف مبتدأ الحروف لأن «له الحركة المستقيمة وعن القيوميّة يقوم كلّ شيء، فإن قلت إنما يقع التكوين بالحركة الأفقيّة، فإنه لا يقع إلا بمرض والمرض ميل.». (عربي، صفحة 122)

وإنّ الهدف الأساس لعلم العرفان الإسلامي، الوصول إلى الله تعالى والفناء فيه، أي الوصول إلى حيث لا يرى الإنسان إلّا الله تعالى، ولا يبصر إلا وجهه جلّ وعلا كما قال الله عز وجل: «كل من عليها فانٍ و يبقى وجه ربک ذو الجلال و الإكرام» (الرحمن، 26). يعتقد العرفاء أنّ من يصل إلى هذا المقام، أي لا يرى إلا الله تعالى، فقد وصل إلى مقام كان فيه غافلاً عن كلّ ما سوى الله، باعتبار أن الحق تعالى هو حقيقة الحقائق التي ليس وراءها حقيقة. و بدون أية شائبة أن للإنسان صراطا لا يصل إلى منزل حتى يجتاز منزلا سابقا، ويرى العارف أن روح الإنسان كروح الطفل أو النبات، و كماله في تطوره وفق نظام خاص، بينما ليس الكلام في الأخلاق إلاّ عن لزوم اتصاف الروح بسلسلة من الفضائل من قبيل الصدق والعدالة والعفة والإحسان والإنصاف والإيثار وغيرها، الأخلاق ترى أن روح الإنسان يجب أن تزين بسلسلة من الزينة والحلي والنقوش، وفي العرفان أيضا يأتي الكلام عن

المنارة للاستشارات

العناصر الأخلاقية، ولكن بصورة ديالكتيكية متحركة. «والفناء فى الاصطلاح هو سقوط الاوصاف المذمومة كما أن البقاء وجود الأوصاف المحمودة.». (احمدي، 1386هـ ، صفحة 146).

-دور الطائر:

وتعد تجربة الشاعر هنا حقلا لتغذية مشاعر الذات المغايرة لذاتها؛ أي الانتقال من حقيقة الواقع إلى الولوج فى وهم الواقع، وفى هذه الحال تصبح التجربة منفلته من الواقع الذى لفظ الشاعر؛ للبحث عن هويته، وليس الشعر هنا سوى ذلك الحلم الذي يروض أفقه كما يروض الغيث الأرض. (فيدوح، 2016م، صفحة 91) وقال ملاصدرا:« إن الوجود شخص واحد هو ذات البارئ التعالي و الماهيات أمور حقيقية موجوديتها عبارة عن انتسابها إلى الوجود الواجبي وإرتباطها به تعالى.». (النراقي، 1963م، الصفحات 125-126)

دع القطار يخرجُ من سكتِه.

دع المرأة تقول: أحبّك

و هى تضعُ الكثيرَ من الأصباغِ المزيّفة

على وجهها الذى أتعبه الزمن.

دعها تقول

حتّى لو انتحرت فى آخر القصةِ البليدة.

.....

دع الطائرة تطيرُ على ارتفاع

ذراعٍ واحدٍ من الأرض،

و دع الأرض تعبثُ كما يحلو لها

وهى تحفرُ ما لا نهاية له من القبور

لأبنائها الأوغاد و المنفيين و السذّج.

المنارة للاستشارات

لن تكون أنت

سوى حرف أضاعَ نقطته،

سوى حرف يحتضنُ نفسه

و ينامُ وحيداً

مثل يتيمٍ طُرِدَ من الملجأ. (الدين أ.، أقول الحرف و أعني أصابعي، 2011م، الصفحات 96-97)

والأبيات إشارة إلى تعب وشكوى الشاعر من الزمن وأفعاله حتى يريد منه الحرية واختيار الألفاظ بين الانحدار إلى الارتفاع ومن الارتفاع إلى الانحدار وبين العلو والسقوط وهذا يشير إلى عدم ثبات العام والكون فى النهاية والطائر يعنى السير والسلوك وتهذيب النفس وتصفيتها إلى الحق، والدعوة إلى حفر الوغد والمنفى والسذاجة وطلب إلى حرية البيان واليقظة والتقدم على الارتفاع (أو السمو إلى المرحلة العالية من الوجود) ... وأصاب الشاعر الضعف والوهن وتطايرت شظاياه بسبب حالة اليأس والاستسلام للممارسات الاستبدادية واضطرابات النقاط على جنون اللغة واليتيم هو نفس الشاعر رحل وطنه الملجأ. وينبغى أن نقول العرفان يبحث عن علاقات الإنسان مع نفسه ومع العالم ومع اللّه وان السير والسلوك أمران متحركان كما يبدوان من مفهوم هاتين الكلمتين بخلاف الأخلاق، فإنّه بحث هادئ ساكن، الكلام في العرفان عن نقطة البدء وعن المقصد والمنازل والمراحل التي يجب على السالك سلوكها ليصل إلى النهاية. وتقوم عناية الشاعر بقضايا أزمات الواقع، وضياع الحلم، على تباعد المسافة البينية المولدة لاضطراب الهوية؛ لأن مسألة تعيين الهوية ليست مسألة تأكيد على هوية متعينة ولا هى نبوءة تحقق ذاتها، «إنها على الدوام إنتاج صورة للهوية وتغييرٌ للذات باتجاه اتخاذها تلك الصورة، والحاجة إلى تعيين الهوية وهي التي يبحث عنها الشاعر على الدوام عودة صورة للهوية تحمل علامة الانشطار فى المكان الآخر الذي منه تأتي» (بابا، 2004م، صفحة 104) دون أن يعرف الإنسان إلى أين ترمى به المغَّبة؛ لذا أصبحت ممارسة البحث عن

المنارة للاستشارات

دور العرفان في شعر أديب كمال الدين

الذات محورا أساسياً في ظل جور التباين والتناقض الذي أزاح حقيقة المعنى من السياق الذي يبحث عنه الإنسان في ظل الوجود؛ القلق والحزن وضياع فرصة الانتماء...

إلهي،

ما أجمل الطائر

وهو يحلّقُ أعلى فأعلى

مُقترباً من زرقةِ سمائك

وسرِّ غيمتك.

أما أنا فقد أنفقتُ سبعين عاماً

وأنا أزرعُ الحروفَ في أصابعي وفي جسدي

كي تصبحَ ريشاً

حتّى إذا نَبَتتْ وكبرتْ،

فرحتُ.

وإذ وقفتُ على حافةِ الجبل

وأفردتُ ذراعيّ كما يفعلُ الطائر

لأحلّقَ كما يحلّقُ الطائر،

تساقطتْ حروفي سريعاً

عندَ أوّل خفقة جناح

وهوتْ إلى القاع،

وا أسفاه،

هوتْ إلى الوادي.

فهويتُ بهدوءٍ أسْوَد إلى نَفْسي،

أعني إلى سجني. (الدين أ.، الأعمال الشعرية الكاملة، 2018م، صفحة 210)

المنارة للاستشارات

التوحيد الذي ينظر إليه العارف أنه قمة الإنسانية المنيعة وأنه آخر مراحل سير العارفين، يختلف مع التوحيد في نظر العوام، وحتى مع توحيد الفيلسوف في أن واجب الوجود واحد لا شريك له، اختلافا أساسيا كالبُعد بين الأرض والسماء، إنّ توحيد العراف يعني أن الموجود الحقيقي منحصر بذات اللّه تعالى، وأن ما سوى اللّه ظاهرة وجود لا نفس الوجود. توحيد العارف يعني: لا شيء إلاّ اللّه، توحيد العارف يعني التوصل إلى مرحلة لا يري فيها السالك العارف إلاّ اللّه، ولا يؤيد هذه المرحلة من التوحيد، بل يرونه أحيانا الحادا وكفرا، في حين يعتقد العرفاء أن هذا هو التوحيد الحقيقي وان كل مراتب التوحيد لا تخلو من شرك، ويرى العرفاء أن الوصول إلى هذه المرحلة ليس من علم الفكر والعقل، بل هو من عمل القلب، والمجاهدة والسير والسلوك وتصفية النفس وتهذيبها. والشاعر محبوس فى سجن أحلامه الدنيوية وتساقط ومحزون لئلا يصل إلى الحق وهو يشبه نفسه شبه العرفاء بالظاهر ولا الحقيقة.

وهذا الأمر يعبر عنه المتصوفة بمصطلحى الاتصال و الانفصال اللذين يشير إليهما ابن عربي في فتوحاته، فعنده أن من علم هذا العلم– أي علم الاتصال بمن والانفصال عمّن، و الانفصال و الاتصال فيمن، و هو علمٌ غريب يتضمن الوجود كله و غير الوجود– علم أين كان و عمّن انفصل و بمن اتصل. (الكاشاني، 1996م، صفحة 167)

فإن الصوفي يقوم برحلته التي ينشد بها انتزاع نفسه وتجربته من المكان القامع الذي يفرض عليه أن يكفّ عن أن يكون ذاته، عن طريق إكراهه على تفريغ تجربته تلك، وإعادة تفصيلها وفقا لما تمليه نظم المجتمع ويقينياته المنبثقة والمنظور إليها، رغم ذلك، على أنها حقائق أبدية. (سليطين، 1997م، صفحة 189)

أوقَفَني في موقفِ الطائر

وقال: قلبُكَ قلبُ طائر.

ويداكَ جناحا طائر.

المنارة للاستشارات

وعيناكَ في قلقِهما

وتقلّبِهما ذاتَ اليمين وذاتَ الشمال

عينا طائر.

وحلمُكَ حلمُ طائر.

وشوقُكَ إذ يمتدُّ من الشَّجرةِ إلى الغيمة

ومن الغيمةِ إلى البحر

هو شوقُ طائر.

ورحلتُكَ في هذه الدُّنيا رحلةُ طائر.

ما ينقصكَ: ريشتان

وخفقةُ جناح

كي تطيرَ إلى الموت

يا عبدي. (الدين أ.، الأعمال الشعرية الكاملة، 2018م، صفحة 69)

شبّه شوقه إلى وصال الحبيب بشوق الطائر للطيران من الشجرة إلى الغيمة ومن الغيمة إلى البحر، والعرفان «مبتدئ من تفريق ونفض وترك ورفض ممعن في جمع هو جمع صفات الحقّ، للذّات المريدة بالصّدق منته إلى الواحد، ثمّ وقوف.». (دنيا، 1985م، الصفحات 96-98) التفريق بمعنى ترك العارف كل ما يشغل بنفسه من الله و النفض هو التحرك نفسه من هذه الآثار ولا يلتفت بها وهذا لتكميل النفس لتجرد ما سوى الله، والترك هو النسيان كل شيء للوصول إلى الحق والرفض هو رفض وترك جميع اللذات وهوى النفس للوصول إلى الله الذي هو الحق.

فلا يفارق الصوفي الشعور بانفصال روحه عن عالمها الأول، ثم تعيُّنها فى الوجود المادي، فينشأ الإيمان لديه بأنَّ وجوده فى هذا العالم هو وجود طارئ، وأنَّ الوجود الحقيقي لا يكون

المنارة للاستشارات

إلا بالعودة والاتصال بالعالم الأول. (الحداد، الأنا فى الشعر الصوفي، الطبعة الثانية، 2009م، صفحة 91) .

دور الشمس

إلهي،

ما أجملَ شمسك

وهي تجري لمُستقرٍّ لها

في قلبي. (الدين أ.، الأعمال الشعرية الكاملة، 2018م، صفحة 270) .

الشمس إشارة إلى حرارة حب الله فى النفس والوجود وكناية عن ظهور نور الحقيقة وقلب منزل وموقع لظهور الحقيقة والحزن و الحب ...

والحبّ العامّ هو الحبّ الذي بواسطته قد خلق الله سبحانه وتعالى العالم من العدم لإلمام وتعرّف على ساحة الوجود والشمس تدير وتجري لكل العالم دون الفرق والاختلاف، إشارة إلى الحب الله والتفاته إلى جميع مخلوقاته. والمحور الرئيسي الذي تدور عليه رياضات الصوفية المسلمين ومجاهداتهم وتصدر عنه أو ترد إليه أحوالهم ومقاماتهم، فليس ثمة حال أو مقام إلا وهو من الحب الإلهي بمنزلة مقدمة من مقدماته وهو يشغل جوهر التجربة الصوفية وعليه ينعقد مدار البوح الشّعري. (الحداد، تجليات الأنا فى شعر إبن الفارض، 2000م، صفحة 48).

ونلحظ أيضا أن بعض ما هو كليٌ فى التصور و لا يوجد منه فى الواقع إلا فرد واحد قد يحكم العقل باستحالة وجود أكثر من هذا الفرد الواحد، فهذا كليٌ فى التصور مع أنه لا خالق بالمعنى الحقيقي إلا الله تعالى و لا يمكن أن يوجد فى الواقع خالق حقيقى غير الله تعالى.

أوقفنى فى موقف الظلام

و قال: الظلامُ يحيطُ بك

مِن كلِّ صوبٍ يا عبدي.

المنارة للاستشارات

فَعَلامَ الهرب؟

وَعَلامَ التعب؟

إن تصوّرتَ أنَّ للجسدِ شمساً

أو أنَّ لِلحلمِ ألَقاً

أو أنَّ للذهبِ روحاً

فأنتَ مِن الواهمين. (الدين ا.، 2012م، صفحة 21)

استخدم الشاعر التشاكل الدلالي في شقه التقابلي بين الظلام والشمس، والهرب والألق، و التعب و الروح بما تحمله كل صورة في استعارتها المكنية وانزياحاتها الدلالية للتعبير من قلق وكآبة من خلال إثبات المعنى في استخدام اللغات المتقابلة بعد انعدام صحة الرؤيا المشرئبة، و ان موقف الظلام والهرب والتعب، موقف العدم والضياع وفقدان الأمل من كل ما هو حقيقي وواقعي. (فيدوح، 2016م، صفحة 48) وليس للشاعر مفر غير هذا ويحول دون الرغبة في تحقيق الإمكانية حتى أصبح مأخوذا بالخضوع و الاستعباد إزاء ما يجري من حوله من مصائب وهموم متوالية في صورة ظلامية دون الهرب والتعب لان لكل شيء شمس وحرارة والأمل في النهاية كل شيء.

-دور الحب:

إنّ الحبّ الحقيقي يعطي الإنسانَ، الإيمانَ الذي يحوّل كمّية الحياة وكيفيّتها، وهذا الإنسان المحبّ يرى الحلاوةَ في الحال ولا يرى الحياةَ دون العشق والحبّ و إنّ في هذا البحث يصل الشاعر من الحرف و الطائر و الشمس إلى الهدف الأساس و هو الحب:

إلهي،

في الطريقِ إليك،

عبرتُ نهرَ الخوفِ ثلاثَ مرّات

ونهرَ الحُبِّ سبعَ مرّات

المنارة للاستشارات

ونهرَ الموتِ أربعين مرّة.

وكنتُ مضيئاً

إذ لم أعدْ أسمع رنينَ الذهب

ولا أرى جناحَ غرابِ الشَّهوةِ الذي تبعني،

مِن قبل، كظلِّي.

في الطريقِ إليك

كنتُ سعيداً كغيمة

لأنّني احتفظتُ في قلبي بلغةِ الماء

ونقطةِ الحرف

وجمرةِ المحبّة. (الدين أ.، الأعمال الشعرية الكاملة، 2018م، صفحة 202)

الشاعر يعبر طرقا للوصول إلى حب الله (نهر الخوف والحب والموت) وإنّ العشق والحبّ الحقيقي يبقى ويدوم في قلوب العاشقين للأبد، وإظهار الحبّ والغرام يجب أن يكون للمعشوق الحقيقي والدائمي وبعد اختيار هذا الموجود الأصلي والخالد يصلون إلى أرفع مقام ومرتبة. ونرى فى أشعار أديب قلوب المحبّين حافلةٌ بنار الحبّ والغرام ولوصولهم إلى المعشوق الحقيقي يحترقون دون إظهار الشكاية من البلايا والمصائب ويسلكون طريقهم بالرضا والسرور، ولا يخافون من القتل والألم و لو لم يكن الحبّ والعشق موجوداً، بالطبع لا نرى وجوداً للرقي والحركيّة أبداً، لأنّ الإنسان يتحرّك بالعشق ويتجسّس ويبادر بالعمل، يقترح ويفكر ويبادر بالنظر وفي نهاية الكلام ... الحبّ يتبلور. و يستفيد الشاعر من الأعداد الثلاث و السبع و الاربعين رمزية لان لغة الأرقام ولغة الأعداد فيها من الدهشة عجائب، ومن القواعد غرائب، لكل منها دلالاته ورموزه، وحكايته، وكذلك معلوماته عن الأعداد والأرقام التي تمّ الحديث عنها في القرآن الكريم والكتب التراثية والعلمية. عبر الشاعر نهر الخوف ثلاث مرات والإنسان قبل ولادته يكون فى ثلاث مراحل مِن الظلام في بطن أمه والعالم تقسم بثلاث

المنارة للاستشارات

مراحل عالم قبل التولد، و عالم الدنيا، و عالم بعد الموت، وعالم بعد الموت تقسم ثلاث: البرزخ، والحشر او القيامة والجنة والجحيم. ويقسم الله الإنسان فى سورة الواقعة إلى ثلاث؛ أصحاب اليمين والشمال والمقربون. وعبر الشاعر نهر الحب سبع مرات، وعدد السبع استخدم لأشواط الحج، والسعى الصفا والمروة، وطبقات السماء والأرض، إشارة إلى سبع وديان السلوك الطلب والعشق، والمعرفة، والاستغناء والتوحيد والحيرة والفنا. وعبر نهر الموت اربعين يمكن أن يكون رمزا للإخلاص «من أخلص لله أربعين يوما فجر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.». (ريشهري، 1422هـ، صفحة 1930) .

وتقوم المعرفة التأويلية للكلمة على أساس من الذوق الروحى، و فى هذا ما يعني أن العلاقة بين الكلمة ومدلولها الإشاري ذا طابع سيميائي حدسي بعيد عن كل الوسائط المادية و العقلية و لا يفهمها إلا من يسلك معارج السلوك.

و المحبة لله هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات. فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وأول مراتبها الإرادة. (الطوسي، 1302هـ، صفحة 123).

إلهي،

رأيتُ الأخضرَ في الأشجار،

في العشب،

في الحُبِّ وفي الشَّوق،

في ضحكاتِ الأطفال.

فلبستُ الأخضرَ ليلَ نهار (الدين أ، الأعمال الشعرية الكاملة، 2018م، صفحة 262).

هذا اللون الناتج من تداخلٍ منسجم بين اللون الأزرق والأصفر، حيث أخذ من وضوح العقل والتفاؤل الذي يمنحه اللون الأصفر، والهدوء العاطفي في اللون الأزرق، الأمل الملهم وكرم الروح غير المتاح في أي من الألوان الأخرى هو لون التوازن والتناغم، فمن وجهة نظر علماء

المنارة للاستشارات

النفس، يُعدّ اللون الأخضر لوناً مُوازناً عظيماً للقلب وللأحاسيس، فهو يخلق اتّزاناً بين كل من العقل والقلب. **(htt)** والشاعر يرى هذا اللون فى الطبيعة الظاهرية والحب الوجودي واللون الأخضر هو اللون النمو والربيع ولون حديقة المحب والضيافة ورمز للاستقرار والوفرة.

والشوق عبارة عن الميل والرغبة إلى شيء عند غيبته، فإن الحاصل الحاضر لا يُشتاق إليه؛ إذ الشوق طلب يسوق إلى نيل أمر، والموجود لا يُطلب، فالشوق لا يتصوّر إلا إلى شيء أدرک من وجه ولم يدرک من وجه، فما لا يدرک أصلا لا يشتاق إليه. (الهروي، 1413هـ، الصفحات 386–388) وأفضل مراتب الشوق هو الشوق إلى الله سبحانه وإلى لقائه وإلى الوصول إليه والتقرب لديه ولقد وجدنا أن شعور الغربة لا يفارق الشاعر بسبب ابتعاده عن موطن يجد فيه كماله الدائم وهذا يوثر في أفكاره وأشعاره.

إلهي،

قالَ طبيبي لي:

إنّكَ مصابٌ بداءِ العطش.

قلتُ له: نعم،

أنا عطشان للقاءِ الله.

فهزَّ طبيبي رأسَه

ولم يفهمْ قولي. (الدين أ.، الأعمال الشعرية الكاملة، 2018م، صفحة 264).

ان المحب الحقيقي في وجوده العطش لوصول الله تعالى و إذن مفهوم الحبّ، هو الطلب والاستدعاء المحض والعاشق بريء من جميع الكدورات والشوائب التي تهز كيان الإنسان المادي فيصبح هذا الإنسان لا تهمّه المادة ويغرق في عالَم المعنى ويجد هنالک الاستقرار والطُمأنينة إنّه هو العشق. فالعطش يرمز إلى حالة مهمة جداً وهي الحاجة إلى ماء زلال يُبرّد به قلبه ويهنأ ويستقر إذن في نهاية الريّ الاستقرار والعطش هو الذي أوصلنا إلى شرب الماء فالعطشان محتاج، أديب أراد إيراد هذه الحقيقة الرّبانية الروحانية وهي الحاجة إلى الله تبارک

المنارة للاستشارات

وتعالى دون سواه لذا هذا العارف السالک يبحث عن نور الله ورضوانه. «وعند العرفاء المحبة، أول أودية الفناء والعقبة التي ينحدر منها على منازل المحو. وهي علامة السائرين إلى الله تعالى وينعقد به نسبة العبودية والربوبية بين العبد والرب.». (ملاصدرا، صفحة 71). والقرب حال من الأحوال وهو يشاهد العبد بقلبه قرب الله منه فتقرب إلى الله بطاعته و جميع همه بين يدي الله تعالى بدوام ذكره في علانيته و سرّه. (العجم، 1999م، صفحة 755) .

-النتائج:

– الشاعر يبحث عن الله ورضوانه ويدخل عناصر أساسية في شعره العرفاني، ولا تندرج تجربته في عداد الحداثة المزيَّفة أو القصيدة– الصدى، غير المبتكرة، التي تستعير ثيابها من خزانة شعراء آخرين.

– فالشاعر دائم الشعور بالفقدان عن موطن رأى فيه كماله وغيّر فى الدلالات وشحن المفردات بمعان عرفانية وروحية عميقة. واستعمل لتحقيق ذلك أهم نغمات اللوعة والندم والتي وظفها الفن على نطاق واسع، ونقصد بذلك الزهد والتصوف من طرف، والقلق والضياع الوجودي من طرف آخر.

– للحروف من الألف إلى الآخر فى أشعار الشاعر دور ورمز عرفاني، مال بنا إلى تجريده المحكوم بالتذرُّر؛ حيث العدمية تقف على بابه ولقد تعب الحروفي مع حروفه فى البحث عن الوجود والأصل أو الذات، حيث ان عالم الإرادة حرة بعد انعدام صحة الرؤيا.

– ان الشاعر شكل مملكته الشعرية على عرش الحرف، وأودع فيها معاني جسّدت فضاء انفصام الذات.

– والطائر فى شعره يعني السير والسلوك وتهذيب النفس وتصفيتها إلى الحق، والدعوة إلى حفر الوغد والمنفى والسذاجة وطلب إلى حرية البيان واليقظة والتقدم على الارتفاع (أو السمو إلى المرحلة العالية من الوجود).

المنارة للاستشارات

– يستفيد الشاعر من الأعداد الثلاث و السبع و الأربعين رمزية لان لغة الأرقام ولغة الأعداد فيها من الدهشة عجائب، ومن القواعد غرائب، لكل منها دلالاته ورموزه.

– عبر الشاعر نهر الخوف ثلاث مرات وهذا يمكن آن نقول الإنسان قبل ولادته يكون فى ثلاث مراحل مِن الظلام في بطن أمه والعالم تقسم بثلاث مراحل عالم قبل التولد، وعالم الدنيا، وعالم بعد الموت، وعالم بعد الموت تقسم ثلاث: البرزخ، والحشر او القيامة والجنة والجحيم. وقسم الله الإنسان فى سورة الواقعة إلى ثلاث؛ أصحاب اليمين والشمال والمقربون. وعبر الشاعر نهر الحب سبع مرات، وعدد السبع استخدم لأشواط الحج، والسعي الصفا والمروة، وطبقات السماء والأرض، إشارة إلى سبع وديان السلوك الطلب والعشق، والمعرفة، والاستغناء والتوحيد والحيرة والفنا. وعبر نهر الموت أربعين يمكن ان يكون رمزا للإخلاص.

– اصاب الشاعر الضعف والوهن وتطايرت شظاياه بسبب حالة اليأس والاستسلام للممارسات الاستبدادية واضطرابات النقاط على جنون اللغة.

– وشبه شوقه إلى وصال الحبيب بشوق الطائر لطيران من الشجرة إلى الغيمة ومن الغيمة إلى البحر.

– والشمس إشارة إلى حرارة حب الله فى النفس والوجود وكناية عن ظهور نور الحقيقة والحبّ العامّ هو الحبّ الذي بواسطته قد خلق الله سبحانه وتعالى العالم من العدم لإلمام وتعرّف على ساحة الوجود.

– واللون الأخضر فى شعره هو اللون النمو و الربيع ولون حديقة المحب و الضيافة ورمز للاستقرار والوفرة.

–قائمة المراجع:

- https://www.bibalex.org ،https://mawdoo3.com

المنارة للاستشارات

- أديب كمال الدين. (2011م). أقول الحرف و أعني أصابعي. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- أديب كمال الدين. (2018م). الأعمال الشعرية الكاملة. بيروت: منشورات ضفاف.
- أديب كمال الدين. (2006م). ما قبل الحرف ما بعد النقطة. عمان: دار أزمة للنشر و التوزيع.
- اديب كمال الدين. (2012م). مواقف الألف. بيروت: الدار العربية للناشرون.
- الرحمن، 26.
- حسيني، السيد قوام الدين. العرفان الإسلامي. قم: مركز الدراسات والتحقيقات الإسلامي.
- خواجه عبد الله الأنصاري الهروي. (1413ه). منازل السائرين، شرح كمال الدين عبد الرزاق الكاشاني. قم: انتشارات بيدار.
- رفيق العجم. (1999م). موسوعة مصطلحات التصوف الاسلامي، ط1. لبنان: مكتبة لبنان.
- سليمان دنيا. (1985م). إشارات و تنبيهات لابي علي سينا، ج3. القاهرة: دار المعارف.
- عباس اقبالي و رضا مير احمدي. (1386ه). المجانى من النصوص العرفانية، ش. سمت، تهران.
- عباس يوسف الحداد. (2009م). الأنا في الشعر الصوفي، الطبعة الثانية. اللاذقية: دار الحوار.
- عباس يوسف الحداد. (2000م). تجليات الأنا فى شعر إبن الفارض. الكويت: رابطة الأدباء.
- عبد الرزاق الكاشاني. (1996م). لطائف الاعلام في إشارات أهل الإلهام، تحقيق: سعيد عبد الفتاح. القاهرة: دار الكتب المصرية.
- عبد القادر فيدوح. (2016م). أيقونة الحرف و تأويل العبارة الصوفية فى شعر اديب كمال الدين. بيروت: منشورات ضفاف.

المنارة للاستشارات

- محمد تقي مصباح يزدي. (1361ش). محاضرات فى الايديولوجية المقارنة، ترجمة محمد عبد المنعم الخاقاني، ط1. قم: دار الحق.
- محمد محمدي ريشهري. (1422ه). ميزان الحكمة، ج4. قم: دار الحديث.
- محمد مهدي النراقي. (1963م). جامع السعادات. قم: مكتبة الداوري.
- محي الدين أبن عربي. الفتوحات المكية، د. ت، ج2.
- ملاصدرا. الحكمة المتعالية فى الاسفار الاربعة العقلية، ج1، بى تا. قم: منشورات مصطفوي.
- نصير الدين الطوسي. (1302ه). أوصاف الاشراف، تصحيح نصر الله تقوى. تهران: ش، إسلامية.
- نعيم عموري. (شتاء 1436ه). موتيف الموت و الحياة فى شعر أديب كمال الدين، السنة العاشرة، العدد الرابع. مجلة اللغة العربية و آدابها ، 593.
- هومي ك. بابا. (2004م). موقع الثقافة. لندن: روتلج.

وفيق سليطين. (1997م). الزمن الأبدي، الطبعة الاولى. اللاذقية: دار نون

المنارة للاستشارات